تقاسيم قيامية

لماذا اذا تكلم الانجيليون على يسوع في القبر أو عليه منزلا عن الصليب لا يسمي احدهم هذا "الشيء" جثة أو جثمانا؟ دائما سألت نفسي هذا فأدركت ان السبب الوحيد هو انهم اقتنعوا ان هذا الموت ليس نهائيا وانه ما اعترى يسوع نتن. ما صلبوه للموت. صلبوه للحياة. بهذا المعنى شبه لليهود انهم قتلوه. في الحقيقة القتيل هنا أباد القاتل أعني اسرائيل. وحده في تاريخ الناس قتل الناصري اعداءه بلا سيف على هذه المفارقة انه يحيي قتلاه.

قد لا يحتمل القارئ كل اختطافي الى القيامة. انك ان خرجت اليه لا تعود الى هذه الجثة القابعة فيك. يسوع يتراءى وانت جسداني. أنّى لك ان تعرف المجد. صمنا لنمتلئ قليلا من مجده قبل ان يسطع في الفصح، لنقرأه مجيدا، لنمزج الجثة التي فينا بشيء من النور، الذي فيه.

في معراجي اليه استوقفتني ثلاثة ظهورات فان عيني قلبي لا تستطيعان ان تظلا مفتحتين على ضياء كثيف. عند اشتداد الضياء لا ينفع القلم. مع ذلك دفعت عيني الى الرؤية وريشتي الى الهذيذ والوتر ليس لي.

اتخذ لوقا بادئا لاني في ما اتخذه آراه يوحنائي النكهة ويوحنا يطيب كثيرا. تلميذا عمواس سمعا من الجماعة انه قد قام وكانا يتحاوران في هذا وهما سائران الى قريتهما. "اقترب اليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما". هو يقترب ولا يقتحم ثم يرافق ولا يلفي. "ولكن امسكت أعينهما عن معرفته". هكذا كانت دائما حالة صحبه بعد انبعاثه الا مرة واحدة سأذكرها. امست عنهما المعرفة فانه هو معطيها وما كانا بعد مهيأين لها اذ تتطلب ان يكونا فصحيين في كيانهما وما بلغا هذا بعد.

حدثاه عما جرى بتفصيل حتى قال لهما: "اما كان ينبغي ان المسيح يتألم ويدخل الى مجده". ودعم قوله بحجج من كتب العهد القديم بقي هذا في العقل حتى "اتكأ معهما واخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما". هذا ما جرى قبلا بينه وبين تلاميذه في العشاء السري. وينتهي الفصل بقوله انهما عرفاه عند كسر الخبز.

ما أوحى به لوقا هنا انك في القداس تنزل عليك القيامة كل قوتها. ولكن المهم هو القداس الممدود في حياتك اليومية. ان انت غدوت جليس يسوع واعطاك في هذه المعاشرة ذاته تدرك انه قام من بين الاموات لانك تكون قد ذقت قيامة نفسك من مواتيتها. تقرأ قلبك الحي وتعرف انه نشأ عند فجر الفصح.

* * *

في ذلك اليوم "جاءت مريم المجدلية الى القبر باكرا والظلام باق". جاءت وحدها ولا يذكر يوحنا انها رافقت بقية النساء. كانت علمت من بطرس والتلميذ الآخر ان القبر أمسى فارغا. ولكن لم يدر في خلد المرأة ان السيد قد قام. كل شيء يدل على ان الاتباع بمن فيهم النساء لم يكونوا سريعي التصديق بالقيامة. لم يكن عند أحد استعداد عاطفي لتقبلها. ورد عندها هي افتراض عبرت عنه: "انهم أخذوا سيدي ولست اعلم أين وضعوه".

"ولما قالت هذا التفتت الى الوراء فنظرت يسوع واقفا ولم تعلم انه يسوع". ليس أحد مهيأ ليبصر نورا الهيا يلتحف بانسان. اذذاك، قال لها يسوع: مريم. دخلها صوته مع اسمها. اسمها كان فيه. هي الآن وحدها المسماة. ولكون نوره تدفق عليها فعرفته أي صارت هي أيضا من نور. غريغوريوس بالاماس يقول في عظة له على التجلي ان من تجلى على ثابور لم يكن هو الرب. التلاميذ، عند ذاك، تجلوا فرأوه كما كان. ولما استنارت مريم قالت له بالآرامية: ربوني الذي يعني يا معلم. في هذا لم تكن تعترف بشيء جديد ودنت منه لتتبارك بتقبيل قدميه. القبلة تعني انه لم يزل من هذا العالم. انت لا تستطيع تقبيل الله. لانك دنس الشفتين. ولذلك لمس الرب شفتي اشعياء بجمرة وقال له: "ان هذه مست شفتيك فانتزع اثمك" (٦:٧).

قبل ان يصل فم مريم الى قدمي المخلص شاءت ان تمسك بهما فقال لها: "لا تمسكيني لاني لم اصعد بعد الى ابي ولكن اذهبي الى اخوتي اني صاعد الى أبي". يا مريم لا تستطيعين ان تستنيري كليا الآن. انت استضأت بقدر لانك لا تزالين من لحم ودم. انت لا تزالين ذات اشواق ولم تدخلي بعد الى آخر اعماق السر. المحبة التي ليس فيها لحم ودم لم تنزل بعد لان الروح القدس الذي يعلمكم كل شيء لما يأت. انه هو الذي يزيل منكم ما كان فيكم ترابا. هذا ضياع وقت ان تفكري كيف كنت معكم انت والتلاميذ وحاملات الطيب وامي. هذا كان مجرد اعداد لهبوب الروح الذي سيعمدكم بعد قليل بالنار فلا يبقى فيكم غير النور. النار ستجعل كلا منكم صافيا فصفيا. وسيظهر منكم قوم يعرفون الحب كاملا ويشهدون لي بالدم فان كنيستي لا تحفظ الا بالدم. انت الآن اذهبي الى تلاميذي وقولي لهم اني ذاهب لاعد لهم وللأحبة من بعدهم مكانا. المهم الآن قبل ان يتمجدوا ان يقولوا للناس اني قمت وذاهب الى الآب.

الآب هو كل شيء يا مريم. سيفهم واحد منكم، وهذا سألقاه على طريق دمشق، سيفهم هذا ان النهاية ستكون اذا سلمتْ الملك لله الآب لأن غايتي في ابطال الموت هي ان يملك وانا نفسي سأخضع له في هذا الناسوت الذي احببته انت لما أنقذتك من موت الخطيئة. يا مريم انا صاعد بعد قليل وهذا فوضت اليك ان تقوليه للتلاميذ. لكن هذا لا يكفي. يجب ان آخذ كل ناسوت في جسدي ولا أستطيع ان آخذكم الا اذا زالت الترابية كلها فيكم. ما جئت له، يا بنيّتي، هو ليس لآخذ فقط هذا الجسد الذي رأيته انت ينكسر من أجلكم ومن أجل كثيرين. هذا لا يرضيني يجب ان أتخذ كل جسد في ناسوتي ليتمكن بولس هذا حبيبي بعد سنوات من ان يكتب "ان الله سيكون الكل في الكل". أنّى لأية حبة تراب، اذذاك، ان تبقى؟ يا مريم يجب ان نشتاق الآب.

* * *

الظهور الأخير في الانجيل الرابع على بحيرة طبرية كان لسمعان بطرس ولتوما وابني زبدي واثنين آخرين من تلاميذه. ثم بعد هذا يذكر النص التلميذ الذي كان يسوع يحبه. على ما جاء في التقليد هو يوحنا الحبيب أي واحد من ابني زبدى. غير ان النص لا يقول ذلك. لم يعرفوا انه السيد حسب القاعدة التي استخرجناها انك بالنور تعاين النور.

من كل الذين تراءى لهم القائم في البشائر الاربع لم يعرفه أحد الا هذا. لماذا؟ في العشاء الاخير هذا كان متكئا في حضن يسوع. في الفلسفة المشرقية هذا يعني انه كان يستمد من المعلم الحياة. وما قال الكتاب مرة انه أحب يسوع ولكنه قال ان يسوع كان يحبه. ولما اومأ اليه سمعان بطرس ان يسأل من عسى ان يكون هذا الذي سيسلم الرب اذذاك اتكأ على صدره وقال له يا سيد من هو.

ما يأتي الى الذهن هو ان التلميذ كان في حاجة الى سؤال المعلم. ولا يقول الكتاب ان يسوع قال بصوت عالٍ هو ذاك الذي أغمس انا اللقمة فأعطيه. التلميذ الحبيب أخذ همسة. واذاً تذكرنا ان انجيل يوحنا فيه دائما طبقات من المعاني وان الحسي دائما صورة عن غير الحسي لادركنا ان اتكاء التلميذ الحبيب على صدر المعلم من بعد اتخاذه الحياة من حضنه انما يعني انه اتخذ الفهم من المعلم لان القلب عند القدماء مصدر الفهم. هذا الذي كان في قلب المخلص لما كان مع الآخرين على بحيرة طبرية كان المسيح نوره في قلبه قبل ان يقوم فاستطاعت عيناه ان تتحولا وتشاهدا. ان تعرف نفسك في المحبوبية هذا وحده يجعلك انسانا فصيحا.

كتبت هذه السطور في القاهرة بعدما شاركت بطريركها الارثوذكسي بطرس في الذبيحة الالهية في كنيسة مار جرجس في مصر القديمة. هناك، في هذا المكان عاشت اول جماعة مسيحية في هذا البلد. مئتا يوناني وبعض عرب أو أكثر من هذا قليلا كانوا يقيمون العبادة للناهض من بين الاموات. تذكرت قوله:"لا تخف ايها القطيع الصغير". انك قد اعطيت القيامة. ولا تخش خطاياك. ستمحى بنفخة من فمه ولا يبقى فيك الا نشيد الفصح. نحن دائما قلة. نحن دائما نشيد.

المطران جورج خضر